مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

1. إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.
2. الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.
3. بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.
4. إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

عبقرية المقاومة وغباء نتنياهو

1 – مدخل:

حذّر رؤساء أركان سابقون في جيش الاحتلال الصهيوني من أن الوضع الاستراتيجي لإسرائيل، ما قبل معركة "طوفان الأقصى"، كان أخطر ممّا كان عليه قبل حرب يوم الغفران في خريف العام 1973، لأن تعاظم قوة محور المقاومة الراديكالي في السنوات الأخيرة، والتفكك الداخلي الإسرائيلي في الأشهر الأخيرة، "أوجدا لدى أعداء "إسرائيل" إحساساً بأن بوّابات السماء قد فُتحت، وحانت اللحظة"، على حدّ وصفهم. كما وحذّر هؤلاء من نظرة قادة المقاومة الأساسيين في المنطقة، التي تعتبر أن "إسرائيل" هي أوهن من بيت العنكبوت، لأن الانشقاق الداخلي المستفحل فيها يشلّها، وهي غير قادرة حتى على الدفاع عن نفسها. وفي المجال نفسه، أكّدت شعبة الاستخبارات العسكرية "أمان"، بحسب صحيفة يديعوت أحرونوت، من أن "الردع الإسرائيلي تآكل، وأن احتمالات الحرب أعلى مما كانت عليه في كل نقطة زمنية مرّت منذ صيف العام 2006".

وفي شهر آب/ أغسطس 2023، بدا الوضع "خطيراً ومجنوناً أكثر بكثير، لأن الكل يعرف ما الذي من شأنه أن يحصل في كل لحظة. ومع ذلك، فإن "القباطنة" الإسرائيليين على دكّة السفينة يتقاتلون ويضرب بعضهم بعضاً حتى تنزف دماؤهم: بنيامين نتنياهو (رئيس الحكومة) أخطأ مرّة أولى مع الانقلاب النظامي، وأخطأ مرّة أخرى مع "ذريعة المعقولية"، وتجاهل حقيقة أنه يقود الكيان بعيون مفتوحة إلى الكارثة". ورأت الصحيفة أن محاولة الخروج من هذا الوضع المتردي تمثّلت " في تشكيل "حكومة طوارئ؛ أو حكومة وحدة صهيونية تؤدّي إلى إجماع واسع في الموضوع النظامي، ومن ثم مصالحة داخلية وتعاظم قوّة مانع للحرب". وتابعت بأن "دوّامة الكراهية والتحريض وحرب القبائل، لم تسمح لإسرائيل بأن تقوم بعملها؛ وصراع نتنياهو وباراك الداخلي عرّض كل شيء للخطر. وهما عرّضا الأمن القومي الإسرائيلي للخطر". ونوّهت إلى أن هناك " تسيّباً لم يسبق له مثيل، يدفع خرّيجي وحدة النخبة "سييرت متكال" لشلّ سلاح الجو، وتفكيك جيش الاحتياط، ودعوة الأعداء لمهاجمتنا"، مضيفة: "عندما ستُقام لجنة "عميت – سولبرغ" للتحقيق في القصور الكبير لعام 2023، ستجدهما مذنبين، والتاريخ لن يغفر لمن قاد السفينة الإسرائيلية مباشرة لسور الصخور".

2 – الإحساس المزيّف بالأمان:

كشفت حرب الإبادة والتطهير العرقي التي شنّها كيان العدو على قطاع غزة عن تحديات وتعقيدات مرتبطة بتنفيذ عقيدة عسكرية عالية التقنية. وقد أثبت الهوس العسكري الإسرائيلي بالتكنولوجيا بأنه استراتيجية ذات عيوب وآثار فتّاكة. فهذه التقنية خلقت إحساساً زائفاً بالأمان، ووضعت قوات الاحتلال أمام تحديات لم تكن في الحسبان. وفي السياق تمّ طرح سؤال محيّر أقلق راحة المحلّلين الاسرائيليين منذ انطلاق عملية "طوفان الأقصى" في السابع من تشرين الأول (أكتوبر) الماضي: أين اختفت التكنولوجيا العسكرية الإسرائيلية المتقدّمة؟ وصحيح أن فعل المقاومة الفلسطينية كان سريعاً وحاسماً وسرياً، لكنّه لا يبرّر الاختفاء الكليّ للقدرات التقنية التي طالما تبجّح بها قادة الاحتلال، ولا فشل جنوده في تحقيق نصر ذي مغزى داخل غزة. هم كانوا يتحدّثون يومياً عن وادي السيليكون الإسرائيلي، وعن شركات التكنولوجيا التي أسّسها ضبّاط وحدة الـ 8200، وعن كيان شكّل قطاع التكنولوجيا الفائقة فيه 18.1 في المئة من ناتجه المحلي الإجمالي في عام 2022، و48.3% من إجمالي صادرات الاحتلال. فكيف لمجموعة مقاومة فلسطينية، على بساطة الوسائل التقنية التي تملكها، أن تُكبّد العدو كلّ هذه الخسائر الفاضحة والفادحة في الماديات والمعنويات؟

إن البحث عن إجابة على هذه الأسئلة، يُعيدنا إلى تموز 2006. ففي مقال بحثي نشرته «مجلة الدراسات الإستراتيجية» عام 2008 بعنوان «قوات الدفاع الإسرائيلية في حرب لبنان الثانية: لماذا الأداء الضعيف؟»، تحدّث الكاتب آفي كوبر، من قسم الدراسات السياسية ومركز «بيسا للدراسات الإستراتيجية» في جامعة «بار إيلان» الإسرائيلية، عن تأثير تحوّل إسرائيل الجامح إلى "النهج العسكري الموجّه نحو التكنولوجيا"، حيث ينتقد المقال «عبادة التكنولوجيا» داخل قوّات الاحتلال، وعواقبها على القدرات العسكرية التقليدية، ويضيء على عقيدة الكيان العسكرية المتطوّرة التي تتأثّر بمفاهيم مثل «هيمنة المعلومات» و«المناورة المهيمنة»، ما يؤدّي إلى الاعتماد المفرط على التكنولوجيا. وقد كشفت حرب لبنان الثانية في عام 2006 عن نقاط الضعف في هذا النهج، إذ تعرّض كبار قادة الاحتلال للانتقاد بسبب إدارة المعارك من المقرّات ومن وراء الشاشات بدلاً من قيادة القوات على الأرض. ويؤكّد المقال الآثار الضارّة للعقلية التي تركّز على التكنولوجيا بدلاً من الاستخبارات القتالية والقدرات القتالية المباشرة، وتحدّث عن حاجة كيان الاحتلال إلى نهج أكثر توازناً يتضمّن كلاً من التكنولوجيا المتقدمة والإستراتيجيات العسكرية التقليدية.

وفي تقرير نشره موقع Breaking Defense في 13 تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، يتحدّث عن كيف أنّ الاعتماد على التقنية داخل قوات الاحتلال «أتى على حساب إضعاف الحدس البشري والقدرات البحثية والانفصال بين الجنود البشر وساحة المعركة». ويشير التقرير إلى أنّه في عام 2020 طرحت "إسرائيل" عقيدة

عسكرية جديدة تُعرف باسم خطة «الزخم» (تنوفا)، تهدف إلى الجمع بين حرب المناورة السريعة والقدرات التكنولوجية المتطوّرة. ومع ذلك، كشف عدوان "إسرائيل" على غزة عن تناقض صارخ بين استراتيجية التكنولوجيا الفائقة المتصوّرة والتكتيكات العسكرية الفعلية التي استخدمتها "إسرائيل" رداً على هجمات 7 أكتوبر. ووفقاً للموقع، فإنّ الحرب الإسرائيلية على غزة انحرفت بشكل كبير عن المبادئ الواردة في خطة «الزخم»؛ وبدلاً من الاعتماد فقط على حرب المناورة السريعة والقدرات التكنولوجية العالية، استخدمت "إسرائيل" تكتيكات عسكرية كلاسيكية، بما في ذلك نشر القوات البريّة والمعدّات العسكرية القديمة. وعلى الرغم من التحوّل نحو التكتيكات التقليدية، فإن بعض أحدث التقنيات الإسرائيلية أدخِلت في الحرب، إذ نشرت ناقلة الأفراد المدرّعة "إيتام" المجهّزة بنظام الحماية النشط، إضافة إلى نشر ناقلات الجنود المدرّعة "النمر" التي قُدّمت في عام 2008، وناقلات الجنود المدرّعة الأقدم من طراز M113. وقد جُهّز العديد من المركبات المدرّعة في غزة بنظام الحماية النشط (Trophy) الذي أنتجته شركة «رافائيل». ومع ذلك، يبدو أنّ النظام لم يعمل كما كان متوقعاً، إذ ذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أنّ ناقلة جنود مدرّعة من طراز «نمر» أصيبت بصاروخ مضاد للدبابات. ولفتت الصحيفة إلى أنّه «على الرغم من أنّ التحقيق في الحادث لا يزال جارياً، إلّا أنّه ثبت أن نظام الحماية النشط Trophy المجهّز على المركبة المتقدمة والمدرّعة الثقيلة قد تعطّل وفشل في اعتراض الصاروخ». وأكّد فحص إضافي للحادث أنّ الاستهداف كان مميتاً بشكل خاص لأنّ الصاروخ المضاد للدبابات أصاب ذخيرة أخرى عند الارتطام. كما كشفت الحرب عن فشل الدفاعات الجوية الإسرائيلية أمام أهداف متعددة الطبقات، إذ أُطلق أكثر من 9500 صاروخ من غزة. وفي هذا الشأن، يشير التقرير إلى أنّ نشر نظام الدفاع الجوي Arrow وطائرات F-35 الحديثة كان أمراً لافتاً، إذ عرض مزيجاً من التدابير المتقدمة والتقليدية لمواجهة التهديدات المحمولة جواً، التي لم تستطع بطّاريات القبّة الحديدية اعتراضها كلها. من ناحية أخرى، وفي مقال نشرته مجلة «فورين بوليسي» في 26 تشرين الأوّل (أكتوبر) الماضي، تحدّثت المجلة بإسهاب عن «الوهم التكنولوجي والمزالق الإستراتيجية» ومخاطر اعتماد قوات الاحتلال على التكنولوجيا العسكرية المتطورة. وخلصت إلى أن «التركيز على الحلول عالية التقنية ربّما أعمى صنّاع السياسة الإسرائيليين عن اتخاذ خيارات صعبة في الإستراتيجية العسكرية». ويضيف المقال أنّ «قصر النظر الاستراتيجي» الذي يُعانيه رئيس وزراء العدو، بنيامين نتنياهو، الذي تجسّد في «الأمان الوهمي» الذي يوفّره السياج الحدودي «الذكي» على طول قطاع غزة، كان «يتغذّى على ثقة في غير محلّها في الحلول التكنولوجية». وقد سمح هذا الشعور الزائف بالأمان بتحويل موارد قوات الاحتلال بعيداً من الدفاعات الأرضية، ما أدّى إلى ترك نقاط الضعف التي استُغلّت في هجوم 7 أكتوبر. أما اللافت في المقال التحليلي، فتأكيده بأنّه على المستوى التكتيكي «أدّى اعتماد الجيش الإسرائيلي على التكنولوجيا إلى تعزيز العقلية

الدفاعية» التي تتمثل في استراتيجية «جزّ العشب»، وتقوم على الضربات الجويّة بدلاً من مناورة القوات البريّة لتحقيق أهداف عسكرية. وقد أسهم هذا النهج في «انخفاض مهارات الوحدات البريّة» داخل قوات الاحتلال الإسرائيلي.

3 – "عش الدبابير":

" إذهب إلى غزة"... هذه الجملة هي بمثابة "شتيمة"، يستخدمها الإسرائيلي عندما يريد أن يتمنّى لخصمه أن يُلاقي الجحيم. ولا يزال الإسرائيلي يذكر تلك الجملة الشهيرة التي عبّر فيها إسحق رابين عن حقيقة الواقع في التعامل مع غزة، عندما قال: "أتمنى أن أستيقظ يوماً فأرى غزة وقد غرقت في البحر"، وذلك لأنها بالنسبة للإسرائيلي، خاصة العسكري، هي عش دبابير لاسعة، من المفضّل عدم الاقتراب منه، أو حتى المرور بجانبه. وهكذا تطابق رأي الجنرال أريئيل شارون مع رأي الجنرال إسحق رابين، فقرّر الانفصال عن "عش الدبابير" عام 2005. ولعلّ بنيامين نتنياهو وحاشيته السياسية والعسكرية يدركون تمام الإدراك معنى مقولة رابين تلك وقرار شارون ذاك، خاصة وأن نتنياهو (الذي أيّد خطة الانفصال عن غزة) جرّب المجرّب في مواجهات عسكرية طاحنة مع غزة في الأعوام (2012 و 2014 و 2021)، وخرج من هذه التجارب بنتائج يعرفها الجميع، أقلّها أنه لم يحقّق أي شيء من ورائها سوى القتل والتخريب. والآن، وبعدما وقعت الواقعة على أرض "عش الدبابير"، اتّضح بما لا يدع مجالاً للشك لدى الكثير من المحلّلين السياسيين والعسكريين والخبراء الاستخباريين الإسرائيليين وغيرهم، أن قرار الدخول البريّ كان واحداً من أكثر القرارات غباءً في تاريخ الكيان؛ ذلك بأن الجميع كان يُدرك، تصريحاً أو تلميحاً، بأن التورّط في وحل غزة ثمنه باهظ جداً، ونتائجه– من حيث تحقيق الأهداف المعلنة– تقارب الصفر. غير أنه لم يكن أمام نتنياهو إلاّ أن يُقدم على هذه الخطوة المتهوّرة، علّه يحقق شيئاً يعفيه من تبعات ملفات فساده، أو يخفّف من عواقب فشله الأمني غير المسبوق الذي سُطّر في سجلّه الشخصي الوسخ يوم السابع من تشرين الأول الماضي. وهكذا تورّط نتنياهو (الموصوف في أوساط الإسرائيليين بالتردّد والجبن والكيد والكذب وتغيير المواقف والتصرف بعكس ما يقول...) بقرار الدخول البريّ إلى غزة بقوات غير مسبوقة وأسلحة وعتاد بحجم حرب كبرى بين دولتين عظميين، وهو يستحضر في ذهنه مقولة رابين وقرار شارون، لأنه يعلم أن إمكانيّة تحقيق ما أعلن عنه من أهداف عقب صدمة 2023/10/7 أقرب إلى الوهم منها إلى الواقع. ولنتخيّل لو أنّ نتنياهو قرّر الاكتفاء بالقصف الجوي ودكّ البيوت والعمارات فوق رؤوس أصحابها، دون أن يقترب قيد أنملة من الأهداف المعلنة؛ كيف سيكون شكله عندما تتوقف الأعمال الحربية؟ وبماذا سيرجع إلى

شعبه؟ وماذا سيقول لهم؟ وبأي شيء سيبرّر فشله في تحقيق الأهداف المزعومة، وعلى رأسها استعادة أسراه من مدنيين وعسكريين، والقضاء على حركة حماس وإنهاء سيطرتها على غزة؟

لا شك بأن المشهد على مستوى الشارع الإسرائيلي سيعني فشلًا في الحملة العسكرية، وسيكون المشهد على المستوى الدولي أن "دولة" تمتلك كل عناصر القوة العسكرية والأمنية والسياسية، وتحظى بدعم دولي غير مسبوق، خرجت من حربها العبثية بآلاف الضحايا من المدنيين الغزيّن، أغلبهم من الأطفال والنساء والشيوخ، وتدمير البنى التحتية، وتدمير المشافي والمدارس والمساجد والكنائس والمؤسسات المدنية، ورجعت إلى شعبها بخفّي حنين. لذلك، فإن نتنياهو أراد من وراء الدخول البريّ الغبيّ إلى غزة أن يبحث عاجزاً عن صورة انتصار، مهما كان حجمها صغيراً، حتى يتمكن من النزول عن الشجرة العالية التي تسلّقها بقفزات كبيرة بدون أن يحسب حساباً للعواقب. وبغضّ النظر عن البيانات العسكرية والمؤتمرات الصحافية والتصريحات المتواصلة حول إنجازات جيش الاحتلال في غزة، إلاّ أن واقع الحال يشي بعكس ذلك ويقدّم صورة مغايرة. فحتى آخر لحظة، لم ير العالم سوى التجريف والقصف الجويّ للمدنيين الأبرياء، وآلاف الجثث والأشلاء المتناثرة في كل مكان، ومسح الأحياء الكاملة عن وجه الأرض، واستهداف كل ما له علاقة بأسباب الحياة، من مياه وكهرباء وغذاء ودواء. وهذه كلّها – كما يقول الخبراء العسكريون– ليست أهدافاً عسكرية، وليست وسيلة للوصول إلى إنجازات عسكرية. وأضف إلى ذلك أن استمرار الحرب وتفاقم الوضع المأساوي في غزة، قد يقود إلى توسيع رقعة الحرب ودخول جهات أخرى فيها بشكل غير مسبوق، وهو ما لا تحتمل تل أبيب تكلفته، برغم إعلانها المتكرّر بأنها جاهزة لكلّ السيناريوهات.

لقد بحث نتنياهو عن صورة انتصار كي ينهي المشهد المخزي ويرجع منه بشيءٍ ما، بعد أن بدأ الدعم الدولي، بما فيه الأمريكي، يتراجع ويتغير، وبعد أن بدأت جهات دولية تمارس الضغوط من أجل وقف القتال، أمام مشاهد سفك الدماء البريئة، التي هي أقرب إلى عمليات الانتقام والإجرام منها إلى قاعدة "احتمال وقوع ضحايا مدنيين أثناء الحرب"! فما هي صورة الانتصار التي يمكن أن يكتفي بها نتنياهو؟

منذ بداية الأزمة وضع نتنياهو وماكينته الإعلامية (العسكرية والمدنية) مجمّع الشفاء الطبيّ هدفاً مركزياً، بحجّة أن قيادات "حماس" تختبئ في أنفاق تحته، ولا بدّ من الوصول إليه لتحقيق الهدف الأكبر من وراء هذه الحرب. بالتالي شكّل اقتحام مجمع الشفاء الطبي أحد أكبر الوسائل للنزول عن الشجرة. وربما اكتفى نتنياهو بهذا "الإنجاز" ليبدأ بعده العدّ التنازلي للنزول عن الشجرة؛ فكان لا بدّ من بعض المشاهد الهوليوودية التي تمنحه "صورة الانتصار" المنشودة. وقد حدث هذا بينما جرت وراء الكواليس مفاوضات تبادل الأسرى التي أثمرت خلال أيام عن نتائج إيجابية، استطاع نتنياهو من خلالها أن يقول لجمهوره إنه نجح في تحرير "الرهائن

والمخطوفين"، من دون أن تكون هناك أهميّة لكيفية حدوث ذلك. فالمجتمع الإسرائيلي (المنقسم على نفسه) لا تهمّه طريقة استرجاع أسراه بقدر ما يهمّه استرجاعهم بالذات. وهذا ما سيُسخّر نتنياهو كل قدراته الإعلامية لتسويقه بعد انجلاء غبار المعركة. بل إن المجتمع الإسرائيلي، ولأول مرّة في تاريخ الصراع، أبدى قبوله بقاعدة "الجميع مقابل الجميع". أي جميع المخطوفين مقابل جميع الأسرى الفلسطينيين. وهذا له دلالاته وتداعياته، حاضراً ومستقبلاً.

4 – محاولات تطويع وكسر إرادة:

ينصبّ الحديث في مرحلة ما قبل انتهاء الحرب حول كيفية تطويع قطاع غزة، وكيفية ضمان أمن الكيان الإسرائيلي، وكيفية منع "حماس" وقوى المقاومة من العودة للحكم، وكيفية استيعاب عملية تهجير قسرية محتملة لأبناء غزة، وكيفية استعادة الكيان لقوّة الردع، وللصورة المصطنعة التي حاول رسمها عن نفسه في السنوات الماضية، بعد أن فضح عدوانه على غزة مدى وحشيته وبربريته ودمويته. والعقل الغربي منشغلٌ حالياً في كيفية إعادة الفلسطينيين إلى "الحظيرة" وليس في كيفية تحريرهم منها، ومنشغلٌ في كيفية إطالة أمد معاناتهم، وتجاهل أبسط حقوقهم، وفي كيفية إطالة أمد الاحتلال والقهر الصهيوني، وفي شرعنته وتوسيعه وترسيخه. وبعد ثلاثين عاماً من الاستعمار البريطاني و75 عاماً من الاحتلال الصهيوني، وبعد 105 أعوام من القمع والقهر والمعاناة ومن الصمود والانتفاضات والثورات الفلسطينية... لم يتغيّر التجاهل الغربي للحقوق الطبيعية للإنسان الفلسطيني...، ولم يتقدّم إيجاباً بشكل جاد، ولو حتى لأنصاف الحلول التي تبنّوها سابقاً، ووافقت عليها قيادة منظمة التحرير والأنظمة العربية، مثل "حلّ الدولتين"، بكلّ ما فيه من عَسفٍ وظلمٍ للشعب الفلسطيني؛ بل قاموا بتوفير الغطاء الذي يحتاجه الكيان للتهرّب من هذا الحل، وللاستمرار في برامج التهويد والاستيطان في القدس والضفة الغربية، حتى سقط هذا الحل، وشارف الصهاينة على إغلاق الملف الفلسطيني بالتعاون مع القوى الغربية، ومع الأنظمة العربية المُطبِّعة.

إن الحلول المعروضة كلّها كانت تحاول فقط إيجاد بعض "الإغواء" لأطراف فلسطينية وعربية للاستمرار في المراوغة ضمن مسارات ضبابية، لا تحمل أفقاً حقيقياً ولا التزامات قاطعة...؛ وهو استمرار لا يخدم إلّا الاحتلال، ولكنه يوفّر كافة عناصر التفجير والثورة في وجه الاحتلال وفي وجوههم. وبالتالي فالرسالة الأساسية لمعركة "طوفان الأقصى"، ولأقوى ضربة تلقّاها الكيان الصهيوني منذ إنشائه قبل 75 عاماً، هي أنه لا يمكن تجاهل وعي ووطنية الإنسان الفلسطيني الذي لا يمكن تطويعه، وأن المقاومة قادرة على قلب الطاولة بوجه الجميع، وعلى فرض معادلتها عربياً وإقليمياً ودولياً، وأن تُعيد الملف الفلسطيني ليتصدّر الأجندة العالمية؛ وأن تُثبت بأن نظرية الردع والأمن والمراوغة الصهيونية نظرية ساقطة، وأن خط المقاومة بات هو الخط الذي يُعبّر بصدق عن

الوجدان الفلسطيني والعربي والاسلامي الذي يلتف حوله أكثر من 80% من أبناء الأمّة، وألّا نجاح لمسارات التطبيع، وألّا أمن ولا استقرار لتجمّعات المستوطنين في فلسطين المحتلة، على حساب حقوق ودماء وأشلاء الشعب الفلسطيني.

5 – عقيدة نتنياهو:

يرى المشروع الصهيوني، وفقاً لعقيدة جابوتنسكي، أستاذ اليمين الإسرائيلي الفاشي منذ بيغن وحتى نتنياهو، أن الأرض العربية من النيل إلى الفرات، هي حقٌ إلهي للشعب اليهودي، "مَنحَهُ ربّ الجنود لشعبه المختار"، وأن كل شعب يسكنها إنما هو بمثابة مُعتدٍ على هذا الحق، وغازٍ لهذه الأرض يجب إخراجه منها بكل وسيلة، بما في ذلك سفك دمه وقطع نسله واجتثاثه من جذوره ومحوه من الوجود ومن التاريخ، وحتى من ذاكرة التاريخ. ويرى هذا المشروع أنَّ على كلّ القوى في العالم، كواجب ديني، مساعدته في تحقيق السيطرة على هذه البقعة من الأرض، وأن من يُخالف هذا الواجب وينكص عنه هو عدوٌ للربّ، وعلى شعب إسرائيل أن يعاديه بكلّ ما تصل إليه يده من وسائل. ويرى المشروع أنَّ هذه البقعة من الأرض سيحكم منها شعبُ الرّب العالم؛ وأنَّه عندما جاء اليهود من شتّى أصقاع الأرض إلى هذه البقعة كانت خالية تماماً، ليس فيها من البشر أحد. لذلك قالوا: "إنما رجع شعبٌ بلا أرض إلى أرض بلا شعب". وإننا لنجد في كتابات ومذكّرات وتصريحات عشرات القادة الإسرائيليين الصهاينة كلاماً يحمل هذا المعنى ذاته، بل وأسوأ منه؛ ومن هؤلاء نتنياهو في كتابه "مكان تحت الشمس"، الذي لم يترك فيه مجالاً للتزوير والكذب على التاريخ والدين والناس إلّا وسطّره. بل إن نشيد حزب الليكود الخاص يتحدّث عن "ضفّتين لنهر الأردن، هذه لنا والأخرى أيضاً لنا"!! وبذلك لا يختلف سموطرتش وبن غفير وحزباهما عن نتنياهو وحزبه.

لقد زعم نتنياهو أن قوّة الشعب اليهودي تكمن في حصانته الداخلية والروح الصهيونية التي تسري في عروق اليهود، وأن النصر سيكون حليف الكيان، عبر الربط بين القدرات التكنولوجية والعملياتية والتفوّق الجوي والاستخباراتي؛ بالإضافة للقناعة بأن من لا يقاتل على وجوده وحياته فلن ينجو في هذه المنطقة.

كما تطرّق نتنياهو لطريقة التعامل مع الأعداء خلال فترة ما بين الحروب، قائلاً: "سنعمل بين الحروب على المس بقوّة العدو من دون الوصول إلى الحرب، وذلك في حال اقتربت قوّة العدو من طريق اللاعودة في تطوير قدراته القتالية، أو بوجود إنذارات بتخطيط العدو لمباغتة استراتيجية، فسنوجّه لهم حينها ضربة استباقية". وقامت «عقيدة نتنياهو» في ما يتعلّق بالصراع المزمن في المنطقة، على أساس قلب المفاهيم والمعادلات والمسلّمات التي سادت منذ فترة طويلة، ومفادها أنّ «المقولة المقدّسة» التي كانت تعتبر أنّ جوهر الصراع في الشرق

الأوسط إنما يرتبط بملابسات القضية الفلسطينية وتعقيداتها، قد تحوّلت إلى ضحيّة من ضحايا الثورات العربية، أو ما سُمّي بـ"الربيع العربي". وتؤيّد عدّة أطراف في الائتلاف الحكومي الإسرائيلي هذه العقيدة؛ ومن المؤيّدين لها، العنصري أفيغدور ليبرمان، رئيس حزب «إسرائيل بيتنا»، الذي قال إن «الدول العربية المعتدلة باتت تُدرك أنّ التهديد الذي تواجهه يأتي حصراً من جانب المنظّمات الإسلامية المتطرّفة. ولذلك بالإمكان اليوم، ولأوّل مرّة، التوصل إلى تسوية شاملة تكون شروطها على إسرائيل مقبولة. ورأى وزير المالية الإسرائيلي الأسبق يائير لبيد، رئيس حزب «يوجد مستقبل»، أن الجامعة العربية، وعلى رأسها مصر، تشكّل مفتاحًا لتحقيق تسوية سياسية للصراع الإسرائيلي– الفلسطيني، وأنه يستحيل تحقيق ازدهار اقتصادي في إسرائيل في المدى البعيد من دون إنجاز تسوية كهذه. وتصرّ عقيدة نتنياهو على مطالبة الفلسطينيين بالاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية، وتؤكّد أنّ السلام لن يحلّ ما لم يفعلوا ذلك، وأن تحقيق السلام لن يتسنّى إلّا بعد اعترافهم بـ«حق» الشعب اليهودي في أن يعيش هنا في دولة سيادية أو دولة قومية خاصة به، على حدّ قوله.

لكن الأمر الأعمق والأشدّ خطورة في هذه السيرورة الفكرية هو تطلّع نتنياهو إلى أن يتحوّل الاعتراف بإسرائيل بهذه الطريقة، إلى اعتراف بالصهيونية وبممارساتها الاستعمارية العنصرية. وبالتالي يتحوّل الاعتراف الفلسطيني والعربي والإسلامي بالاحتلال، من اعتراف بحكم الأمر الواقع، إلى اعتراف مبدئي بشرعيّته التاريخية. وهذا لا يعني سوى أنّها، أي الصهيونية، كانت تاريخيًا على حق، فيما كان الفلسطينيون والعرب والمسلمون جميعًا على باطل. ومن هنا كانت مطالبته بالسيطرة الإسرائيلية على غور الاردن والضفة الغربية، وحتى على قطاع غزة .

وأخيراً، لخّص الكاتب يوسي فيرتر، في صحيفة هآرتس، ما يحصل في إسرائيل اليوم بالقول "إن الإسرائيليين حالياً عالقون مع نتنياهو حتى نهاية الحرب، لأنه لن يُقدّم استقالته مطلقاً. وبعدها، يجب أن يبصقوا بوجهه ويرموه خارج المنصب".

6 – فشل عقيدة نتنياهو:

لقد أصبح بنيامين نتنياهو رئيسًا للحكومة في "إسرائيل" لأول مرّة، العام 1996؛ ومنذ ذلك الحين وهو يدفع الكيان نحو اليمين والفاشية. ورغم أن كثيرين يُجمعون على أن أيامه في المشهد السياسي باتت معدودة، إلّا أن النهج الذي أسّسه سيكون من الصعب تغييره، وفق ما ذكرته صحيفة "الغارديان" البريطانية، والتي أضافت أن "هجومًا كالذي نفّذته حركة حماس في السابع من شهر أكتوبر/تشرين الأول الماضي، ما كان يجب أن يحدث في ظل حكم نتنياهو الذي كان يصفه مساعدوه برجل الأمن". لقد أراد نتنياهو أن يتذكّره الإسرائيليون بصفته حامي إسرائيل؛ فعادة ما كان يتباهى بأن إسرائيل لم تشهد قط وقتًا أكثر سلمًا وازدهارًا من الأعوام الستة عشر

التي قضاها في السلطة. ففي ظل وجود حكوماته المتعاقبة، قامت "إسرائيل" بتركيب نظام القبّة الحديدية لاعتراض الصواريخ، وأنشأت سياجًا بطول 40 ميلاً، مزوّدًا بأجهزة استشعار تحت الأرض، وأسلحة يتم التحكم فيها عن بُعد، ونظام كاميرات موسّع، تبلغ تكلفته 1.1 مليار دولار. ورأت "الغارديان" أن السلام النسبي الذي حظِيت به إسرائيل خلال الخمسة عشر عامًا الماضية، قد بُني على سلسلة من الأوهام فحواها أن تطلعات الفلسطينيين نحو الحريّة يمكن خنقها وإخفاؤها وراء الجدران الإسمنتية التي قامت إسرائيل بتدشينها طيلة السنوات الماضية. كما اعتقدت أيضًا أنه يمكنها التعامل مع ما تبقّى من مقاومة فلسطينية، من خلال مزيج من التكنولوجيا والقوّة النارية الساحقة؛ وبالتالي، يمكن للحكومات الإسرائيلية أن تفعل ما يحلو لها من توسع واستيطان بدون تحمّل عواقب كبيرة. لكن، جاء هجوم 7 أكتوبر ليُحطّم كافة الافتراضات التي وضعتها إسرائيل، وانهار مشروع نتنياهو بكافة نواحيه، صبيحة اليوم الذي يُطلق عليه الإسرائيليون اسم "السبت الأسود"؛ وتبيّن أن حكومات نتنياهو الفاشية المتعاقبة لم تجعل الإسرائيليين أكثر أمنًا، بل على العكس جعلتهم أكثر عرضة لهجمات على غرار التي نفّذتها "حماس" وفصائل المقاومة الأخرى. ووفق تقرير الصحيفة، فإن نتنياهو "لم يرسم أيضًا طريقًا أمام إسرائيل للخروج من اعتمادها على الولايات المتحدة، وتركها معتمدة عليها تمامًا، كما كانت أثناء حرب "يوم الغفران" 1973 ، باعتبارها أول كارثة مماثلة تحلّ بإسرائيل". وتابعت صحيفة الغارديان: "إن رؤية نتنياهو لإسرائيل فقدت صدقيّتها تمامًا. وبرغم ذلك، لا يوجد من بين القادة الإسرائيليين الذين سيخلفونه من هو على استعداد لإبعاد إسرائيل عنها". وأضافت: "ربما تدشّن الأزمة الحالية نهاية مسيرة نتنياهو السياسية. لكن إسرائيل ستظل محاصرة بالظروف التي أوجدتها، حتى بعد فترة طويلة من رحيله عن المشهد السياسي؛ ذلك أن معارضي نتنياهو السياسيين اتّبعوا أيضًا نهجه وعقيدته.. فحكومة (لابيد – بينت) التي لم تستمر طويلاً، وترأّسها كل من "يائير لابيد"، و"نفتالي بينت"، لم تحِد عن سياسات نتنياهو العنصرية؛ بل عملت على تعميقها أكثر. ففي ظل تلك الحكومة بدأت أعداد الشهداء الفلسطينيين في الضفة الغربية بالتزايد. وقام بيني غانتس، الذي كان وزيرًا للدفاع فيها، بتصنيف 6 منظمات غير حكومية فلسطينية رائدة في مجال حقوق الإنسان، على أنها "منظمات إرهابية"، في إطار جهود إسرائيل لقمع المعارضة الفلسطينية للاحتلال. ولفتت الصحيفة إلى حرص نتنياهو وحلفاؤه على ضمان عدم قيام حركة وطنية فلسطينية موحّدة. "ولذلك عمل على تقوية حركة حماس في غزة بداية على حساب حركة فتح في الضفة الغربية. وبهدف دعم حكومة حماس في غزة، طلب نتنياهو من قطر نقل مليارات الدولارات لحماس. وأعادت الصحيفة التذكير بما قاله نتنياهو في اجتماع لحزب الليكود العام 2019: "من يريد أن يمنع قيام دولة فلسطينية، عليه بدعم حماس وتقويتها.. هذا جزء من استراتيجيتنا لتقسيم الفلسطينيين بين أولئك الذين يعيشون في غزة، والذين يعيشون في يهودا والسامرا (الضفة الغربية). كما تجلّت

إخفاقات نتنياهو أيضًا على صعيد علاقات إسرائيل الخارجية. وخلافًا لوجهة النظر التي احتفظ بها دائمًا، فإن القضية الفلسطينية لم تختف ببساطة من أجندة المنطقة والعالم، "ولم يكن اندماج إسرائيل ممكنًا في الشرق الأوسط من دون التوصل إلى اتفاق طويل المدى يُنهي الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية والحصار لقطاع غزة"، وفق المصدر ذاته. والحرب التي دارت في غزة مؤخراً أدّت إلى توتّر العلاقات مع مصر والأردن، أهم حليفين عربيين لإسرائيل؛ وطال التوتّر أيضًا علاقات إسرائيل مع دول اتفاقات إبراهام، التي يعتبرها نتنياهو إنجازًا تاريخيًا له، إذ استدعت البحرين سفيرها من إسرائيل، وأعلنت تعليق علاقاتها الاقتصادية لإظهار دعمها للقضية الفلسطينية". وعلى الصعيد الداخلي، قام نتنياهو بتطوير نمط متميّز من الحكم الشخصي، حيث منح مناصب وزارية وهيئات حكومية لأعضاء الليكود والموالين له من السياسيين غير الأكفّاء. وفي العام 2020، وبعد اتّهامه بعدة قضايا فساد، ورشوة واحتيال، أصبح أسلوب نتنياهو السياسي يتّسم بجنون العظمة، واتّهم عناصر في الشرطة والنيابة العامة بالانضمام إلى وسائل الإعلام اليسارية المناهضة له لتلفيق قضايا لا أساس لها ضدّه، بحسب زعمه. وبعد هجوم 7 أكتوبر، بدا واضحًا أن نتنياهو يدير الأزمة وهو يضع في اعتباره مستقبله السياسي القاتم، فانصبّ اهتمامه على الشكليات؛ ولذلك لم يحضر أيًا من جنازات قتلى هجوم "حماس"، وفضّل بدلاً من ذلك التقاط صور استعراضية إلى جانب قوات النخبة في الجيش الإسرائيلي. وسابقًا، حاول نتنياهو إلقاء اللوم على الجيش في الإخفاق الاستخباري والعسكري الإسرائيلي الذي أدّى إلى وقوع هجمات "حماس". وبرغم الجهود التي بذلها لإعادة تلميع صورته ودفع تهم الاخفاق والهزيمة عن نفسه، فقد "انتهى نتنياهو سياسيًا، والغضب الشعبي تجاهه وتجاه حكومته كبير جدًا، بحسب الصحيفة. ففي استطلاع رأي للقناة 13 العبرية، قال 76% من الذين شملهم الاستطلاع إنّ على نتنياهو أن يستقيل. وفي مقابلة مع صحيفة "هآرتس"، قال موشيه يعالون، وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق، إن بنيامين نتنياهو يمثّل "تهديدًا وجوديًا" على دولة إسرائيل. وقالت الصحيفة إنه "إذا كان هناك أي أمل في أن تتخلّص إسرائيل من إرث نتنياهو، فسيكون من قائد جديد لم يُعرف اسمه بعد ولم يظهر على الساحة، ويتحلّى بالشجاعة، لدفع إسرائيل مجددًا نحو مسار السلام". وأضافت: "حتى الآن لا يوجد مثل هذا القائد في إسرائيل، لأن نتنياهو تمكّن من دمغ بصمته بقوّة على إسرائيل وإعادة تشكيلها وفقًا لتصوراته". واعتبر الصحافي الإسرائيلي، يسرائيل هرئيل، في صحيفة هآرتس، أن نتنياهو "دائم الخوف؛ وعبّر عن ذلك في عدم اتخاذ قرارات حاسمة في المجالات السياسية الداخلية". وقال إن قوى المقاومة "تعمل بشكل متناسق على إنتاج وسائل قتالية أصابت عمق إسرائيل وحوّلت حياة المستوطنين في الجنوب إلى واقع لا يُحتمل". وختم أن الزعيم الذي "انتُزعت رغبته في القتال" كان نتنياهو وليس يحيى السنوار".

7 – الانتصار الفلسطيني في معركة الوعي:

لقد وضع العدو الصهيوني نفسه أمام المستحيل: مواجهة أصحاب "الروح المعنوية" الذين لا خيار لديهم سوى الانتصار في سبيل أنبل القضايا وأقدس الأهداف. وقد أدرك العدو مجدّدًا أن الطوفان العملاني الذي أتاه كان "طوفان الوعي"، وأنّ معركته هي معركة قتال "الروح المعنوية"، والتي بوجودها لدى المقاومين تتحقّق الأهداف بأقصى فعاليتها، وتتجلّى الانتصارات فيها بأبهى حُللها؛ وبها يبقى الأقصى للأمّة. وهو أدرك أن العبقرية والإتقان والتميّز والابتكار الموجود لدى المقاومة لا يتعلق بإمكاناتها المادية التي لا يمكن مقارنتها بما لديه، بل في "انتصار الروح المعنوية" على "سيوفه الحديدية" التي ستسقط هي وكيانه إلى الأبد.

إن إسرائيل تسعى من خلال المعركة على الوعي، عبر التدمير المنهجي الوحشي، إلى ضرب المعنويات لدى المقاتلين وكي وعيهم وتثبيط عزيمتهم ورغبتهم في القتال. وهذه المساعي البربرية غير موجّهة إلى "حماس" ومقاتليها والمجتمع الدولي فقط، بل أيضاً، وبشكل خاص في فترات القتال، إلى الجمهور الإسرائيلي والجنود، من أجل ضمان رفع معنوياتهم المنهارة وتأييدهم للحرب، واحتمال نتائجها والخسائر التي قد تترتّب عليها، بشرياً واقتصادياً. وفي السياق شهدت انتصارات المقاومة الفلسطينية في معاركها المتعددة والمتوالية، ولا سيما معركتي سيف القدس وطوفان الأقصى، تحقيق سلسلة من الفوائد الأساسية التي كانت من الأهمية بمكان أن تقوّي مكانة وحضور هذه المقاومة وهيبتها أمام الاحتلال الصهيوني. وكان لتراكم القوّة في غزة دور في تعزيز هذا الانتصار بأبعاد جديدة؛ وهو ما اعترف به قادة الاحتلال على لسان اللواء الصهيوني عاموس جلعاد، بأن غزة (المقاومة) " فرضت علينا قواعد لعب جديدة لم نكن نقبلها من قبل، مثلما حصل في عملية حارس الأسوار (سيف القدس). فتراكم القوّة لدى المقاومة، عسكرياً وإعلامياً وسياسياً، أحرزت به نجاحاً باهراً في هزيمة الاحتلال وكشف زيف الرواية الصهيونية وأباطيل الإعلام المزيّف للحقائق، وشكّل انتصاراً لمظلومية هذا الشعب الذي يقاوم الاحتلال الصهيوني النازي والإرهابي الذي يتلاعب بالقانون الدولي وينحرف عن حقوق الإنسان، ويسيطر على وسائل إعلام دولية كبرى، لتغطية جرائمه الوحشية، في اختلال صارخ وانسلاخ واضح عن الأعراف والقيم الإنسانية. ولقد فرضت المقاومة هيبتها على الأرض؛ وهذا لا يُعدّ إنجازًا مهماً فحسب، بل يمكننا وصفه بالإنجاز الجوهري في الصراع مع الاحتلال؛ وهو ما انعكس على تصريحات الإعلام الصهيوني في موقع "واللا" أن هذا العام شهد انخفاضاً كبيراً في ثقة الصهاينة في جيش الاحتلال، وأنها الأدنى منذ عام 2008. إذ انتقلت المقاومة نقلة نوعية في ردع الاحتلال الصهيوني بعد معركة طوفان الأقصى، التي كسرت هيبة المنظومة الأمنية والعسكرية داخل المجتمع الصهيوني، وحقّقت انتصاراً في معركة الوعي وحضوراً لافتاً للرواية الفلسطينية في العالم، وجعلها مترسّخة للغاية في الأذهان. والجدير بالذكر أن ثمة روايتين تتصارعان اليوم على تخوم قطاع غزة؛ رواية

الإعلام المقاوم الذي يُدافع عن عبقرية المقاومة الإسلامية الفلسطينية ويبارك إنجازاتها في عملية طوفان الأقصى، ويبشّر بها كمقدّمة لتحرير الأرض واستعادة الحقوق المسلوبة، بفضل إرادتها ووعيها وقدرتها التي فاجأت بها العدو وأذلّت جيشه، وجعلت مستوطنيه يحزمون حقائبهم مهرولين إلى أقرب مطار. وهناك رواية الإعلام المعادي والمطبّع، الذي يبالغ في تصوير حجم الكارثة التي حلّت بغزة بعد "طوفان الأقصى"، ويعمل لتحميل المقاومة المسؤولية عن الدمار والقتل الجماعي وحرب الإبادة التي يشنّها نتنياهو وجيشه، وتبرئة العدو من المسؤولية عن جرائم الإبادة، وكأنّ الشعب الفلسطيني كان يعيش في نعيم وأفسدته عليه المقاومة بمعركة طوفان الأقصى!

والمؤسف أن هناك من العرب والغرب من تألّم لانكسار هيبة "إسرائيل" وتمريغ وجهها ووجه جيشها بالتراب، ويريد أن يعمل عبر الإعلام المزيّف والكاذب ونشر الرواية المضادة للتقليل من قدسية المقاومة وأحقيّتها، وإقناع العالم بأن معركة طوفان الأقصى هي عبارة عن مجرّد "مغامرة" لن تغيّر مسار الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، ولن تكون نتائجها غير الدمار للشعب الفلسطيني! ويحاول هؤلاء التقليل أيضاً من دور وتأثير دول محور المقاومة في الإنجاز الذي تحقّق، والترويج بأن المحور ترك الشعب الفلسطيني تحت رحمة الجلّاد الإسرائيلي، وأن حزب الله وسورية وإيران لم ولن يتدخلوا في الحرب للتخفيف من أوجاع الفلسطينيين في غزة. وأصحاب الرواية الصهيونية هذه يحاولون إخفاء حقيقة أن كل ما فعلته المقاومة، وإن كان بإرادة ودماء المقاومين الفلسطينيين الأبطال، ما كان ليحصل لولا الدعم العسكري والتقني والإعلامي الذي قدّمه محور المقاومة بأكمله، في إيران وسوريا واليمن والعراق وحزب الله لبنان، للمقاومة الفلسطينية. ولو كان حزب الله قد صعّد الحرب ضد كيان الاحتلال، فعلى الفور كانوا سيتّهمونه بالعمالة لإيران ومحاولة تدمير لبنان، كما يفعلون مع المقاومة الفلسطينية اليوم.

خلال العقدين الماضيين، تناسى العالم القضية الفلسطينية. فرواية الإعلام الغربي وبعض العربي عمدت إلى تصوير القضية الفلسطينية بأنها في طريق السلام، وأن ما يعوقها فقط هو التوسع في الاستيطان، وأن ما يجري في فلسطين هجوم من الفلسطينيين وردّ فعل من الإسرائيليين الذين يمارسون "حق الدفاع عن أنفسهم"، في محاولة لتدمير الحقائق وتزييف الوعي الجمعي فيما يخص فلسطين وإدخال القضية في عالم النسيان. لكن الفلسطينيين الذين اكتووا بنار الاحتلال يومياً، وواجهوا القتل والاعتقال والإرهاب الإسرائيلي، لا يمكن أن ينسوا حقوقهم المشروعة، أو يتراجعوا عن المطالبة بحقّهم المقدّس في أرضهم التاريخية ودولتهم المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف.

الرواية الحقيقية اليوم هي أن "إسرائيل" غرقت في "طوفان الأقصى"؛ ويبدو أن الخروج من طين هذا الطوفان غير ممكن بعد اليوم، والدليل هو حرب التصريحات والاتهامات الداخلية بين قادة الاحتلال حول تحميل المسؤولية عن الإخفاق الكبير والصفعة المدويّة التي أصابت الكيان في مقتل، وكذلك عن طوفان الهجرة المعاكسة من الكيان إلى الدول الغربية، والتي تجاوزت خلال أسبوعين مئات الآلاف، بحسب المصادر الإسرائيلية. وما جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبها الاحتلال الإسرائيلي، بتدمير المشافي وارتكاب المجازر بحق المرضى والأطفال والمعوقين في غزة، سوى محاولة لقتل الوعي وقلب الرواية الحقيقية وفرض الرواية الإسرائيلية المزيّفة التي لن تستطيع استعادة الشعور بالأمن والأمان لملايين المستوطنين الذين عاشوا رواية الحرب الحقيقية الحيّة وذاقوا طعم الذل والخزي والهزيمة. والرواية التي كتبتها المقاومة بدماء شهدائها الأبطال جعلت بعض الأقلام الإسرائيلية تؤكّد أن مسار الإهمال والتغييب الذي انتهجته حكومات الاحتلال وبعض الدول العربية والغربية حيال القضية الفلسطينية هو السبب الحقيقي لما حدث في السابع من تشرين الأول؛ فلا يُعقل أن تضع نحو 2.5 مليون فلسطيني في طنجرة ضغط ولا تتوقع الانفجار في لحظة ما، بحسب تعبيرهم!! لكن بعض الإعلام العربي لا يريد أن يرى انتصار المقاومة في غزة كما لم يحب أن يراه في لبنان عامي 2000 و2006، لأن هذا الانتصار يُعرّي حكّام الخزي والعار من عرب التطبيع، ويفضح تقاعسهم عن القيام بواجباتهم تجاه القضية الأم، ويُسفّه مزاعمهم بأنه ليس بالإمكان محاربة "إسرائيل" المدجّجة بالسلاح وبالدعم الأمريكي، ويُسقط ترويجهم للرواية القائلة بأن كل هذه الحروب "عبثية" تدميرية بالوكالة عن إيران، وأنّ "التطبيع" هو العلاج بكونه يجلب السلام والرفاه للشعب الفلسطيني ولشعوب المنطقة!

كما أن بعض منافذ الإعلام العربية التي تروّج للرواية الإسرائيلية تريد إحباط الناس وتشويه وعيهم وتكريس الخنوع واليأس في نفوسهم. وتحت عنوان "الواقعية" المزيّفة، يريد مروّجو التطبيع والتمييع أن يستكين الشعب الفلسطيني أولاً، والشعوب العربية الأخرى ثانياً، للمحتل الجلّاد. ومن أجل حقن الدماء ودرء مخاطر الحرب والدمار، على الشعب الفلسطيني أن يصمت ويقبل بالفتات والصدقات الدولية والعربية؛ فالحرب في حساباتهم المهزومة محسومة لصالح العدو. ولذلك يجب على المقاومة ألاّ تُحارب، لأن العين لا تقاوم المخرز، وأن الحرب لا فائدة تُرتجى منها، وأن هذه المعارك هدفها تدمير الأوطان وليس تحريرها من المحتل.

رواية هؤلاء المتخاذلين، يحاول المحتل أن يؤكّدها من خلال ارتكاب أبشع أنواع جرائم الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، بهدف كي الوعي المقاوم ومسح العار والذل الذي لحق بجيش الاحتلال وقادته، وطمس جذوة النصر وفرحة الانتصار التي أطلقتها معركة طوفان الأقصى تحت ركام الأبنية. ولسوف يُسجّل التاريخ في رواية فلسطين أن كل من يلتزم الصمت حيال حرب الإبادة التي تشنّها سلطات الاحتلال

الإسرائيلي ضدّ الفلسطينيين في غزة وجرائم الحرب التي ترتكبها قوات الاحتلال، إنما هو شريك في تلك الجرائم، وأن كل دولة قادرة على وقف الجريمة ولا تفعل هي شريك فيها؛ فكيف إذا كانت تمنع إيقاف هذه الجريمة وتدعمها بالمال والسلاح كما تفعل واشنطن؟!

8 – خاتمة:

شكّلت حركة حماس، بطابعها السياسي والديني، وبالاستناد إلى جناحها العسكري، والحافز القوي لديها "للمس بإسرائيل"، تحدياً مستمراً لإسرائيل؛ وهو ما تطلّب، بموجب البحث، خوض معارك طويلة وعنيفة واستراتيجية من الصعب الانتصار بها، ما حتّم على إسرائيل البحث الدائم عن آفاق جديدة تخفّف عبء القتال المباشر، حيث تُعتبر حرب المعلومات واحدة من هذه الأدوات وركيزة أساسية في السياسة الإسرائيلية تجاه القطاع، أثناء وما بعد جولات القتال. ومن ناحية أخرى، أكّد الجنرالان الإسرائيليان، ديفيد سيمان– توف ويورام شفارتسر، في الدراسة التي أصدرها معهد أبحاث الأمن القومي بجامعة تل أبيب، أن "حماس سجّلت نقاط انتصار واضحة في معركة الوعي، والجمهور الإسرائيلي ظهر مشوّشاً وخائب الأمل؛ وقد تجلّى ذلك في حالة الإرباك التي عمّت الحلبة السياسية والحزبية، وكادت أن تعصف بالحكومة وتُسقطها". كما نجحت "حماس بتحقيق الانتصار في معركة الوعي أمام إسرائيل في جولات المواجهة الأخيرة التي شهدها قطاع غزة، لأن الأداء العسكري الإسرائيلي الرديء تجاه الحركة مكّنها من تسويق روايتها عن الأحداث، على اعتبار أن الجمهور الإسرائيلي لم يحصل على رواية واضحة من دوائر صنع القرار في تل أبيب، مما أصاب الحصانة القومية للإسرائيليين بكثير من الأضرار".

لقد قامت المقاومة في غزة بعمل عسكري وأمني استثنائي، وقلبت معادلات الردع مع العدو في ما يتعلّق بالقتال الميداني، وأفقدت العدو فكرة الإنذار المُبكر والقدرة الاستخبارية الفائقة، وأسقطت فكرة "إسرائيل" القادرة التي تبدأ بالضربة الأولى؛ فكانت هي التي تلقّت الضربة الأولى؛ وأكّدت أن العقل الفلسطيني قادر على التخطيط والإدارة والإخفاء والتنفيذ، وأثبتت أن المقاتل الفلسطيني قادر على الهجوم وليس فقط على الدفاع؛ وهو قادر على اكتساح الميدان بمساحة هائلة من خلف خطوط الإنذار التي بناها العدو. كما أعطت للعقل العسكري والسياسي في العالمين العربي والإسلامي نموذجاً تطبيقياً عملياً لفكرة أن المقاومة قادرة على الانتصار، وأن "إسرائيل" هشّة وقابلة للهزيمة، ولم تستطع القيام بأي عمل يمكن أن يوصف بالاستراتيجي؛ بل كل ما قامت به هو أمران سيّئان؛ الأول: هو الإجرام المنظَّم والمبرمَج بحق المدنيين، وتحديداً النساء والأطفال؛ والثاني هو محاولة فرض نظرية إسحاق رابين التي تقول: علينا أن نضرب بعنف وقسوة لكي نجعل كلفة التفكير بالحرب معنا قاسية جداً،

ولكي يحسب كل قائد عربي حساباً بأنه إذا هاجم إسرائيل سيدفع كل هذه الأثمان(قتل وخراب ودمار..)؛ وأنه سينتهي إلى وضع سياسي أسوأ مما كان عليه ما قبل الحرب. إلّا أن الرد على هذا المنطق كان بالتجربة، حيث كانت الشعوب العربية، وتحديداً الشعب الفلسطيني، تدفع الكلفة المادية والمعنوية منذ أكثر من 75 عاماً؛ وبالتالي فإن الذين يُركّزون اليوم على صورة المأساة الفلسطينية بدون أن يلتفتوا إلى الاقتدار والمواجهة والصمود والانتصار، إنما يضعون أنفسهم بموقع المشارِك في الدم الفلسطيني.. والمقاومة التي قدّمت كل هذه التضحيات لا تريد من أحد بكاءً، إنما تريد أن يبقى الإيمان بالقضية وجعلها مركزية وحيّة ومُستدامة، لأنها عندما أقدمت على فعل البطولة إنما كانت تُجهِض بدمها مشروع التصفية النهائية للقضية الفلسطينية التي لا يُمكن التعامل معها بالطريقة التي كانت قبل 7 تشرين؛ فلا الأنظمة المُطبِّعة ولا المتواطئة، ولا الأميركي ولا الأوروبي، ولا الكيان نفسه قادر على النظر إلى الفلسطيني بالصورة نفسها؛ والأمّة التي تريد أن تبقى على خارطة الجغرافيا، وفي صفحات التاريخ، من دون تضحيات، لن تبقى لا في الجغرافيا ولا في التاريخ.